دعـوة لتطويـر التعليـم الجامعى

بقلـم

أ.د عبد السلام عبد الغفار

الحديث عن الجامعة و عن التعليم الجامعى و العالى حديث له أهمية ، وخاصة فى هذة المرحلة التى تمر بها مصر . فلا شك فى أن هناك كثير من التغيرات الجذرية التى يمر بها المجتمع المصرى ، و التى تستوجب التغير فى المنظومة الجامعية . ومن البديهى أن تتواكب الجامعة فى حركتها وما يحدث فيها من نشاط وما يطرأعليها من تغيير مع ما يمر به المجتمع الذى تقوم على خدمتة من تغيير وتطور . وتمر مصر اليوم بمرحلة تغير جذرى من حيث الاوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية ، فقد استقر نظام الحكم على الاسلوب الديمقراطى الذى يقوم على الاحزاب المتعددة و الذى تحترم فية حقوق الانسان وتقدر قيمتة و الذى يستمتع فية الفرد بحرية فى انتهاج ما يراه من أساليب معيشية شرط الا تتناقض مع ما يتفق علية المجتمع من قيم و تقاليد ونظم و عادات .

أتفق المجتمع على أن تقلل الدولة من سيطرتها على المجالات الاقتصادية المختلفة ، وأن تفسح للمستثمرين فى أن يستثمروا أموالهم فى قطاعات لا ينبغى للدولة أن تتدخل فيها ، وأن يستثمر المصريون أموالم فى سوق تخضع لقواعده وقوانينة الطبيعية وهو ما أطلق علية " أن ندع السوق يعمل وفقا لالياتة "

هو حق الانسان فى الحرية الاقتصادية طالما لا تؤدى إلى إيذاء الاخرين و الحرية فى طبيعتها لاتؤدى إلى الاضرار بالانسان طالماالتزم الانسان بحدودها

وهكذا أصبحت مصر مجتمعا ديمقراطيا يؤمن بحرية الكلمة وتعدد الاحزاب ، يعطى الحرية للأسواق تعمل وفق أليااتها وقواعدها ، لا تتدخل الدولة فى شئون لناس إلا بالقدر الذى يحفظ ويحافظ على المجتمع بتقاليده وعاداته وقيمه .

و تختلف هذه الصورة على ما كان علي المجتمع المصرى من قبل ، لقد كان مجتمعا شموليا مسرفا فى مركزيته ، تسيطر فيه الدولة على كل شئ ، على كل

مجريات الأمور اقتصادية كانت او سياسية أو اجتماعية

و يصبح من المنطقي أن تختلف صورة الجامعةعما كانت عليه ، فهناك فرق كبير بين جامعة تنشئ ابناءها في ظل نظام شمولي و جامعة تنشئ ابناءها لمجتمع ديمقراطي هناك اختلاف في اهداف كل منها ، و هناك تباين في اساليبها و انواع انشطتها

و يقول المتخصصون أن للجامعة ثلاث مجموعات من الأهداف ، و نستطيع أن نلخصها فيما يلي :

١) اهداف معرفية ، و هي تتناول ما يرتبط بالمعرفة تطورا أو تطويرا أو إنتشارا

٢) اهداف اجتماعية ، و التي من شأنها أن تعمل علي استقرار المجتمع و تماسكه و نموه و تخطي ما يواجهه من مشكلات اجتماعية .

٣) اهداف اقتصادية : و التي من شانها أن تعمل على تطوير اقتصاد المجتمع و العمل على تزويده بما يحتاج اليه من خامات بشرية وما يحتاج اليه من خبرات في معاونته للتغلب على مشكلاته الاقتصادية، وتنمية ما يحتاج اليه من مهارات و قيم اقتصادية .

و هكذا يبدو ان اهداف الجامعات في المجتمعات الديمقراطية لابد أن يختلف عن اهدافها في المجتمعات الشمولية لما بين هذين النوعين من المجتمعات من اختلافات

و نحن ايضا نحتاج إلى اعادة صياغة اهدافنا التعليمية بما يتناسب مع ما حدث من تغير في اوضاع العالم .

و اذكرهنا أن العالم اليوم غير عالم الأمس . كان العالم بالأمس مقسما إلى قسمين ، شرق و غرب وبينهما مجموعة من الدول يطلق عليها دول العالم النامي و كانت هذه الدول تلعب لعبة معروفة و متفق عليها بين الشرق و الغرب . و تارة تتجه دولة نامية الى الشرق و تارة تتجه إلى الغرب ، و هذه لعبة سياسية اتفق عليها العالم ، ولم ندرك أن حركتنا لم تكن قاصرة علي المجالات السياسية و الاقتصادية فقط بل تجاوزتها الى المجال التنافسي حتى أصبحت ثقافتنا غير محدودة المعالم ، أكثر من ذلك نحن نعاني من ظاهرة غريبة ، البعض من الناس يعيشون ثقافة أجنبية بكل معانيها

وكل أركانهابدءاً من وسائل وأساليب المعيشة الى أنواع الفنون و الاداب إلى معايير وعادات و نماذج سلوكية غربية بينما يعيش البعض ثقافة قد تتصف بأنها ثقافة مصرية عربية ، والبعض الاخر يعيش ثقافة هى مزج بين النوعين ، وهى مسخ لكل نوع على حدة .

وتغير العالم اليوم ، انقسم بصورة أخرى ، أصبح هناك شمال وجنوب واختفى التقسيم السابق ، وأصبحت هناك فى العالم قوة واحدة بدلا من قوتين ، وعلى الرغم من أن هناك بعض التكتلات الاقتصادية فى أماكن متفرقة فى العالم ، الا أن هذة التكتلات يسهل أحتواؤها من القوة الوحيدة فى العالم وهى القوة الامريكية ، فوجدوا هذة التكتلات من قواعد اللعبة السياسية الدولية .

و الذى يعنينا فى مصر أن نقول أن العالم أصبح شمالا وجنوبا ، الشمال هو المتقدم، وهو القوى وهو من له تأثير ، الشمال يسود . الجنوب هو الأضعف ، وهو التابع نحن فى مصر فى موقف غريب ، نحن أمه وسط بين الشمال و الجنوب، ونود أن نحافظ بهذا الموقع ، لقد خلقنا الله أمه وسطاً ، ونحن نود أن نحافظ على هذا الموقع ، وهو ليس موقع جغرافى فقط ، وهو موقع سياسى، إقتصادى ، ثقافى . ونحن مجتمع قديم وله ثقافتة العريقة بل لا تعالى إن قلنا أن الثقافة المصرية أقدم الثقافات و أكثرهاتأثيرا على حضارة الانسان ، ونحن مجتمع له فضل على البشرية فى تطورها، لقدقدمنا أقدم وأروع ثقافة، ثم عدنا لنحافظ للبشرية على ثقافة الانسان فى وقت الظلام فى أوربا ، و أعدناها بعد أن طورناها ، ونحن مجتمع شرف بالاديان السماوية بين أهلة ، وازداد شرفة بالاسلام ، و نحن لا نود أن نعامل معاملة دول الجنوب حتى لا نصبح سوقا لدول الشمال ، يسوق فيهاكل شئ بدءاً من وسائل الحياة وتكنولوجياتها إلى الفنون و القيم و السلوكيات و العادات . نحن لا نود أن نفقد هويتنا الثقافية ولانود أيضاأن نفقد هويتنا الوطنية.

ونحن لا نود أن نتجة إلى الشمال فنتوه فى ثقافة غريبة عن ثقافتناونخشى أن نصبح مسخا لهم، مرة أخرى نحن نود أن نحافظ على هويتناالوطنيةو الثقافية . فهذا حق مصر ، حق الاجيال السابقة و ليس من حق أى جيل أن يخل بما أئتمنتة علية

الاجيال السابقة.

و هكذا نحن نود أن نحافظ على موقعا فريدا وصعبا ، موقعا متفردا ووسطا بين دول العالم ، ننفتح فية على العالم كله و نتحاور مع العالم كله ولانفقد أنفسنا فى أى مرحلة من هذه المراحل .

و هذا وضع يختلف عما مارسناه من سنوات مضت ، ألا يستحق هذا أن نعيد النظر فى أهدافنا من التعليم الجامعى وممارستنا وما نقدمه من خدمات إلى أبنائنا.

نحن نعيش فى خضم التغيرات، ذكرنا منها اثنين فقط أحدهما داخلى و الاخر خارجى ووجدوا أحدهما منفردا يتم إعادة النظر فى منظومة التعليم كلها ، فما بالنا وهناك العديد من هذة التغيرات التى تتصدى ما ذكرناه ، سواء فيما يحدث من إعادة تنظيم للفكر العالمى و تنظيرة إلى إعادة صياغة أساليب الحياةالعقلية ومحتواها ، إلى ما يحدث من تغيرات فى أتجاهات الانسان ونحو الحياة ذاتها. مرة أخرى الانستحق كرجال جامعات أن نجتمع سويا لنتحدث فيما نقدمة من خدمات إلى أبنائنا فى الجامعات المصرية .

الجامعات ليست خزائن كتب ، الجامعات مراكز فكر وتنوير ، الجامعات مراكز إشعاع و تطوير، الجامعات برجالها فيما يقدمونه من علم وفكر متطور يقود المجتمع و يعمل على نمو الوطن. الجامعات فيما تقدمة من خدمات لأبنائنا بما يحقق لهم النمو المتكامل وبما يعمل على رقى مصر وأزدهار الحياة فيها ، الجامعات فيما تقدمة من حلول لمشكلات يعانى منها المجتمع فى مجالاته المختلفة بما يحفظ علي استقرار مصر و الحفاظ علي هوية المصريين كمجتمع صاحب أفضال على العالم رغم ما يعانيه من صعوبات اقتصادية .

أليس من حق مصر أن تطلب من جامعاتها أن تعلم وتربى ابناءها إلى الانسان الحر المتكامل المسئول في ممارسته لحريته ، اليس من حق مصر أن تطلب من جامعاتها أن تعلم ابنائها أن المجتمعات لا تنمو إلا بحب أبنائها لها و رغبتهم فى تقديم خدماتهم إليها ، و ادراك ابنائها أن خدمة مصر باخلاص و اقتدار هو نوع من الحياة لنا ، اليس من حقنا أن نعلم ابنائنا أن حياتنا في حياة مصر و أن خدماتنا إلى مصر جزء مّن فضلها علينا و ليس منة منا ، أليس من حقنا ان نعلم ابنائنا الحفاظ على مصر

اليس من واجب الجامعات أن تعمل على ترسيخ الهدية الوطنية بين ابنائها ، اليس من واجبهاأن تدعم مشاعر و احاسيس الانتماء بين ابنائناإلى مصر .

اليس من واجب الجامعة أن تعمل على تنمية الانسان الفكر الواعى الحر، المسئول الذى يخشى الله و يتقيه فى كل ما يقوم به من عمل ، الانسان الذى يقبل على التعلم مستقلا بنفسه معتمد على ذاته ، الانسان التلقائى في سلوكه ، المبادر فى تفكيره ، الذى يستطيع آن يتحمل مسئولية ما يقدمه من فكر و عمل .

اليس من الافضل أن نعلم أبنائنا أن يقبلوا على المعرفة بكل جوانبها و أن نعلمهم كيف يصلون إلى مصادر المعرفة، و كيف يتعاملون معها و يفكرون فيها و ينقدون ما يتعرضون لها من فكر و يبحثون فيه من معرفة ، بدلا من أن نحيلهم أو نجعل منهم خزائن كتب ، و بالقطع خزائن ضعيفة قاصرة لا تستوعب إلا النزر اليسير المتغير السريع المتغير من معرفة .

اليس من حق أبنائنا أن نعلمهم كيف يعيشون فى مجتمع ديمقراطى وكيف يختلفون فى الرأى وكيف يقبلون هذة الاختلافات ، الحياة فى المجتمعات الديمقراطية ، لها أساليبها وقواعدها وقيمها ومن حق إبنائناعلينا أن نعلمهم هذة الامور وأن نعلمهم كيف يدافعون عنها إن كان ثم ما يستدعى ذلك .

الحياة فى المجتمعات التى تقدم على قدر من الاحزاب تختلف عن تلك التى تسمح برأى واحد فقط وندوة سياسية واحدة وحزب واحد أو ما سمى بالشمولية فى نظام الحكم ، اليس من حق أبنائنا علينا أن نعلمهم هذة الفروق ، وان نتحدث معهم فى القضايا الوطنية و الاقتصادية و الاجتماعية وبصفة عامة القضايا القومية ، وأن نناقش معهم هذة الأمور بدلا من أن نترك بعضهم فريسة لقوى لا نرضى عنها كمصريين ، أو نترك بعضهم يغترب عنا و يعيش حياة لا يهتم فيها إلا فيما يمسة هو . اليس من واجبنا أن نعلم أبناءنا أن يعيشوا مستقبل مصر ، ويقودون مصر فى مستقبلها .

نعم : نحن نحتاج إلى مجتمع سويا كرجال جامعات و نطرح هذة القضايا ونناقشها ، لأننا فى حاجة شديدة إلى تطوير التعليم الجامعى كمنظومة فرعية بكل مكوناتها ، تطوير التعليم الجامعى قضية تهم المصريين جميعا ، وهذا هو أنسب وقت

لتطوير الجامعات ، فقد أعلن السيد رئيس الجمهورية أن المرحلة القادمة حتى نهاية القرن العشرين هى مرحلة تطوير التعليم ، هو المشروع القومى الذى ينبغى أن ننهض به جميعاوأ ن نسهم فى نجاحة ، وتطوير الجامعات لا يأتى إلا من داخل الجامعات ذاتها ، فهل يمكن أن ندعو رملائنا فى الجامعة إلى لقاء نتحدث فية بشأن جامعتنا